أرض فلسطين وشعب فلسطين فليس من امكانية تنازل على الاطلاق وتحت اي ضغط الا ضغط القهر العسكري الذي لا تملك الا الرضوخ اليه .

ان فلسطين ــ من وجهة النظر الصهيونية ــ هي النقيض لاسرائيل ، وشعب فلسطين هو الشاهد على هذا التناقض وعلى الجريمة التي خلفها . اذن ، وكما حاولت اسرائيل، ونجحت الى حد كبير ولمدة ١٦ سنة ، من شطب اسم فلسطين عن الخارطة العالمية ، فانها اليوم وبعد حرب ١٩٦٧ وانتصارها فيها ، أكثر تعصبا لاستكمال شطب فلسطين والفلسطينيين معا .

وليس أدل على ذلك من ردود فعل حكام اسرائيل الاخيرة في موضوع « الدولة الفلسطينية » وتلميحات وتصريحات الرئيس التونسي . وباستطاعة اي راغب بالتدقيق أن يعود للصحف والاذاعة الاسرائيلية وما تحفل به من أقوال . وهي ليست مطلقا اقوال مناورة بل هي أقوال يعنيها المسؤولون الاسرائيليون بكل حرف من حروفها .

وفي رأيي ان هذا الحوار التراشقي بين تونس وتل ابيب ، وبين تل أبيب وأي فريق آخر ــ غير فلسطيني ــ يعود علينا كفلسطينيين أمام الرأي العام العالمي ، ولا سيما بين ذلك الفريق المحايد او اللامبالي بكسب سياسي كبير ، لانه يكشف لهؤلاء جميعا ، أكثر وأكثر ، حقيقة اسرائيل والصهيونية .

واني من الواثقين بأن اسرائيل ومن يخطط لها ، كانت وراء أكثر من مشروع مماثل [كمشروع روجرز ومشروع المملكة العربية المتحدة] قذفت به شركا الينا لنسارع نحن الى رفضه والتنديد به او لنختلف من حوله وننشق شيعا وفرقا دون أن تكون جادة او صادقة في ما تطرح اطلاقا .

نحن ننسى في كثير من الاحيان ان الكرة الارضية قد صغرت بشكل مذهل وان وسائل الاتصال جعلت من الدنيا كلها ساحة واحدة تقريبا . لذلك فكثيرا ما نخاطب العالم وكأننا نخاطب أنفسنا ، تحت وهم الظن بأن الدول والشعوب لا تملك بين يديها من مشاكل سوى قضيتنا .

غير العربي ، في كل مكان بهذه الدنيا ، بل وحتى بعض العرب أحيانا ، تحت وطأة ما يعانيه الانسان من مشاكل ذاتية وعامة لا يستطيع ان يفهم لماذا يرفض الفلسطيني دولة تقدم اليه على طبق من سلام !!

الصورة لديه هكذا . انه لم يعان ما عانيناه ، ولا يعرف عدونا حقيقة معرفتنا به ، وهو أكثر صلة بأجهزة الاعلام المعادية منه بأجهزتنا الاعلامية (ان كان لنا أصلا أجهزة) . لذلك لا بد ونحن نرفض او نقبل او نناقش ان ندرك هذه الحقيقة المرة ، وان نكون بالتالي على مستوى من الذكاء والدهاء في قلبها وتحويلها لصالحنا وصالح الحقيقة الموضوعية والمصلحة الوطنية .

ولنعترف اننا في كثير من المرات وجدنا انفسنا ــ كثورة فلسطينية ــ في نفس الموقف مع اسرائيل من هذه القضية أو تلك بالرغم من اننا نقف بالسلاح في الخندق المواجه لهذا العدو التاريخي البشع ، الامر الذي كان يحتار اصدقاؤنا في تفسيره او فهمه .

وكانت تجربتنا مريرة ايام روجرز ومشروعه ، يوم وقع الخلاف بين الثورة وعبد الناصر على جلد الدب والدب يسرح ويمرح بأمان في حديقة البيت الابيض مما مهد للنظام الاردني انسب الشروط لتصفيتنا كما فعل في ايلول ١٩٧٠ .

ولا يجب أن تغيب عن بالنا حقيقة ان اسرائيل ، لا العرب ، هي التي أحبطت كل مشاريع الحل السلمي ، وكلما قدم العرب مزيدا من التنازل كانت اسرائيل تقدم مزيدا من مطالب التنازل العربي .

●